

صيد الخاطر

332 - - فصل : العقل السليم في الجسم السليم .

معرفة [] سبحانه لا تحصل إلا لكامل العقل صحيح المزاج و الترقى إلى محبته بذلك يكون .
و إن أقواما قلت عقولهم و فسدت أمزجتهم فساءت مطاعهم و قلت فتخايلت لهم الخيالات
الفاصلة فإدعوا معرفة الحق و محبته و لم يكن عندهم من العلم ما يصدهم عما ادعوا فهلكوا .

و ليعلم أن في المأكولات ما يسبب إفساد العقل و فيها ما يزيد في السوداء فيوجب
المالخوليا فترى صاحبها يحب الخلوة و يهرب من الناس و قد يقلل المطعم فيقوى مرضه
فيتخايل خيالات يطنها حقا .

فمنهم من يقول : إني رأيت الملائكة و فيهم من يخرج الأمر إلى دعوى محبة الحق و الولد
فيه و لا يكون ذلك عن أصل معتمد عليه .

و إنما العاقل العالم يسير في الطريق بين الرفيقين : العلم و العقل .
فإن تقلل من الطعام فيعقل وحد التقليل ترك فضول المطعم و ما يخاف شره من شهية أو شهوة
يحذر تعودا .

و أما زيادة التقليل مع القدرة فليس لعقل و لا شرع إلا أن يكون الفقر عم فيتقلل ضرورة .
و من تأمل حال رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه و جدهم يأخذون بمقدار و لا يتركون
حظوظ النفس التي تصلحها .

و ما أحسن الأمر و أعدله قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ثلث طعام و ثلث شراب و ثلث
نفس] .

و قد قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : [أصب من هذا الطعام فهو أوفق لك من هذا] .

و كان صلى الله عليه و سلم يشاور الأطباء و يحتجم و يحث على التداوي و يقول : [ما أنزل
الله داء إلا و أنزل له شفاء فتداؤوا] .

فجاء أقوام جهلوا العلم و الحكمة في بنيان الأبدان .

فمنهم من أقام في الجبال يأكل البلوط فأصابه القولنج و منهم من قلل المطعم إلى أن
ضعفت قواه و منهم من اقتصر على نبات الصحراء و منهم من كان لا يقوت إلا الباقلاء و الشعير
فأوجبت هذه الأفعال أمراضا في البدن و ترقى إلى إفساد العقل .

و إتفق لهم قلة العلم إذ لو علموا لفهموا أن الحكمة تنهي عن مثل هذا فإن البدن مبني

على أخلاط إذا اعتدلت وقعت السلامة و إذا زاد بعضها وقع المرض .

و أكثر هؤلاء مرضوا و تعجل لهم الموت و فيهم من خرج إلى التسودن و فيهم من لاحت له لوائح فإدعى رؤية الملائكة إلى غير ذلك .

فأما أهل العلم و العقل فهربهم من الخلق لخوف المعاصي و رؤية المنكر .

و فيهم من قويت معرفته فشغلته معرفة الحق و محبته على ملاقة الخلق .

فهذه هي الخلوات الصافية لأنها تصدر عن علم و عقل فتحفظ البدن لأنه ناقة توصل .

و لا ينبغي أن يتهاون بالمأكولات خصوصا من لم يعتد التقشف و لا يلبس الصوف على البدن من لم يعتده .

و لينظر في طريق رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته فإنهم القدوة و لا يلتفت إلى بنيات الطريق فيقال : فلان الزاهد قد أكل الطين و فلان كان يمشي حافيا و فلان بقي شهرا ما أكل .

فإن المحققين من هؤلاء المخلصين الله تعالى على غير الجادة لأن الجادة إتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه و ما كانوا يفعلون .

و هذا لعمرى أنه قد كان فيهم من يقنع بالمذقة من اللبن و يصبر الأيام عن الطعام و لكن إما لضرورة أو لأنه معتاد لذلك كما يعتاد البدوي شرب اللبن وحده و لا يؤذيه ذلك .

و في الحديث : [عودوا كل بدن ما إعتاد] و في المتزهدين من أخرج ماله كله عن يده زهدا و معلوم أن الحاجات لا تنقضي فلما إحتاج تعرض للطلب و إفتقر إلى أخذ مال من يد من يعلم أنه طالم و بذل وجهه .

و قد كانت الصحابة تنجر و تحفظ المال و جهال المتزهدين يرون جمع المال ينافي الزهد . فمخضة هذا الفصل أن أقول : ينبغي لمن رزق فهما أن يسعى في صلاح بدنه و لا يحمل عليه ما يؤذيه و لا يناول من القوت ما لا يوافق و لا يضيع ماله و ليجتهد في إشتثماره لئلا يحتاج فإنه ما نافع زاهد إلا لأهل الدنيا .

و لينظر في سير الكاملين من السلف و ليتشاغل بالعلم فإنه الدليل فحينئذ يحمله الأمر على الخلوة بربه و الإشتغال بحبه فيكون ما ظهر منه ثمرة نضجة لا فجأة و الله الموفق